المخطوط العربي وعلم المخطوطات
(الكوديكولوجيا)

أحمد شوقي بنبين

لا يوجد حتى الآن بين علماء الفيلولوجيا وبين المختصين في علم المخطوطات موقف موحد تجاه الكوديكولوجيا. إن علم المخطوطات بالنسبة للفيلولوجيين هو من العلوم المساعدة التي تساعدهم على حلّ بعض المشاكل التي تعترضهم في ممارستهم لعملية نقد النصوص، بينما يرى الكوديكولوجيون أنه مادة أساسية تدرس لذاتها لا كوسيلة لتحقيق غاية أخرى، وأنه لا يمكن دراسة نص من النصوص دون معرفة الأسس المادية والظروف التي أنتج فيها المخطوط وكذا معرفة الطريقة التي وصل بها النص. وإذا كان هذا العلم جديداً بالنسبة للتراث العربي المخطوط فهو علم قديم عند الغربيين يستمد أصوله ومقوماته من أعمال علماء الفيلولوجيا الكلاسيكيين في القرن السابع عشر وعلى الأخص منهم الرهبان البندكتيون (Benidictines) كالراهب مونتفكون (Montfaucon) الذي يعتبر كتابه (La bibliotheca bibliothecarum) من أهم مصادر ومراجع هذا العلم. وإلى العصر الحديث كان علم المخطوطات يعتبر جزءًا من الباليوغرافيا التطبيقية أو التاريخية (Palaographie) للتعبير عن علم المخطوطات قبل أن يستعملوا لفظ هاندشرفتنكنده (Handschriftenkunde) واحتفظوا بلفظ باليوغرافيا لعلم الخطوط القديمة. أما في فرنسا حيث ازدهر البحث الفيلولوجي ازدهاراً كبيراً وظهرت أعمال جادة في هذا المجال خاصة في النصف الأول من هذا القرن فإن الفيلولوجي

الكبير «ألفونس دان» «Alphonce Dain» صاحب كتاب المخطوطات (Les Manuscrits) قد اقترح عام 1944 لفظ كوديكولوجيا (codicologie)[1] كترجمة للفظ الألماني هاندشرفتنكنده (Handschriftenkunde) لدراسة العناصر التي تكون أو يتكون منها المخطوط بصرف النظر عن نصّ الكتاب، واقتصر لفظ باليوغرافيا[2] على دراسة الخطوط القديمة دراسة علمية[3]. وبهذا الاستعمال أصبح اللفظان يختلفان من حيث الهدف ومن حيث المنهج. الباليوغرافي هو الخبير في مادة الكتابة وطريقته هي طريقة المؤرخ الذي يدرس تطور الظواهر في الزمن، أما الكوديكولوجي فهو الخبير في مادة المكتوب (L'ecrit) تشبه طريقته طريقة العالم الأثري الذي يحاول إعادة بناء القطعة الأثرية المكتشفة. لهذا اقترح بعض علماء الفيلولوجيا في فرنسا وفي بلجيكا خاصة (مدرسة مازي Masei)[4] عبارة أثرية المخطوط (l'archéologie du manuscrit) للتعبير عن علم المخطوطات. فقد أبرز الفيلولوجي البلجيكي فرانسوا مازي استقلالية علم المخطوطات باعتباره مجموعة من الكتب كما أبرز الطبيعة الاركيولوجية لهذا العلم فقال: الكوديكولوجيا هي أركيولوجيا الكتب التي تعتبر أغلى وأنفس آثار حضارة معينة. والذي دعا هؤلاء العلماء إلى اقتراح هذه التسمية «أثرية

---

(1) لفظ مركب من كودكس Codex وتعني كتاب في اللغة اللاتينية، ولوكوس Logos وتعني علم وبحث في اللغة اليونانية. وقد دخلت المعجم الفرنسي عام 1959 . Grand Larousse encyclopedique

(2) لفظ باليوغرافيا من وضع العالم والراهب البندكتي مونفكون (Mantfaucon) استعمله لأول مرة في اللغة الفرنسية (Palèographie) بهذا الشكل في إحدى رسائله المؤرخة بتاريخ 14 دجنبر 1708 (انظر **المخطوطات** لألفونس دان، ص60، ط1975 بالفرنسية).

(3) يدخل ألفونس دان بعض عناصر الكوديكولوجيا في الباليوغرافيا مثل صناعة المخطوط وزخرفته وهندسته الشيء الذي جعل بعض الفيلولوجيين يخالفونه في ذلك. أما أحد المشارقة فإنه قد جعل دراسة المصطلحات المستعملة في المخطوطات جزء من هذا العلم. أنظر المورد، المجلد الخامس، العدد الأول، 1976، ص 144 ـ 145.

(4) منذ 1950 فرانسو مازي (Francois Masei) بدأ يهتم بهذه القضية حيث أثبت أن مخطوطات العصرين القديم والوسيط يجب أن تدرس وحدها كما تُدرس كل آثار الحضارات القديمة.

المخطوط» هو أن لفظ كوديكس Codex الذي هو جزء من كلمة كوديكولوجيا يستثني من هذا العلم كل ما ليس بكتاب كالقراطيس واللوحات واللفائف. والحقيقة أن عبارة «الكوديكولوجيا الوسيطية» (codicologie mèdiévale) في أوسع معانيها يمكن أن تغطي وتعبر عن كل ما هو مكتوب بما في ذلك اللفائف واللوحات الطينية. وقد ذهب آخرون وخاصة الفيلولوجي جلبير وي (Gilbert Ouy) إلى تسمية العلم الذي يهدف إلى جمع المخطوطات والبحث في مجموعاتها بحثاً مادياً بوثائقية المخطوط (archivistique du manuscrit) وذلك لأن عمل الكوديكولوجي قريب الشبه بالطرق التي يستعملها الوثائقي في البحث ودراسة الوثائق. وقبل هذا وذاك اقترح الفيلولوجي الفرنسي الكبير شارل سمران (Charles Samaran) لفظ كوديكوغرافيا (Codicographie) غير أنها لم تحظ بإجماع العلماء. ومع ذلك قد احتفظ بها للتعبير عن المرحلة الأولى أو القسم الأول من علم المخطوطات وهو التحليل والوصف، شأنها في ذلك شأن عدد من الثنائيات المعروفة في اللغة الفرنسية مثل Iconographie و Iconologie، Bibliographie و Bibliologie، Ethnographie و Ethnologie فالكوديكوغرافيا هي فَنُّ تحليل ووصف المخطوطات ومجموعات المخطوطات بينما الكوديكولوجيا تعتمد التأويل واستغلال النتائج التي يتوصل إليها عن طريق باليوغرافيا، اركيولوجيا ووثائقية المخطوط.

هذا من حيث تحديد المصطلح، أما من حيث المفهوم فإن الكوديكولوجيا هي دراسة كل أثر لا يرتبط بالنص الأساسي وبالتالي بحث العناصر المادية للمخطوط. وبعبارة أخرى هو علم يهدف إلى دراسة كل ما هو مكتوب في الحواشي والهوامش من شروح وتصحيحات وما إلى ذلك من معلومات عن الأشخاص الذين تملّكوه أو نسخوه أو قرأوه أو استعملوه أو وَقَفُوه ثم الجهة التي آل إليها والمصدر الذي جاء منه ثم العناصر المادية المتعلقة بصناعة المخطوط من ترتيب وتوريق وترقيم وغير ذلك، ثم تاريخ المجموعات ووضع القوائم والفهارس العلمية، والكشافات وفهارس الفهارس وغيرها.

وقبل دراسة بعض العناصر المكونة للكوديكولوجيا نرى بإيجاز كيف كان

اهتمام كلّ من الغربيين والمشارقة بدراسة المخطوط باعتباره قطعة مادية بصرف النظر عن مادته وموضوعه[1].

بالنسبة للغربيين كانت دراسة المخطوط تعتبر دراسة ثانوية يُهتم به كوسيلة أو مصدر للتاريخ الثقافي كدراسة عصر معين من جوانب مختلفة، أو يُهتمّ به كقطعة أثرية نادرة كما كان يصنع ببعض النسخ الخزائنية مثلها (كالمصاحف في التراث العربي المخطوط). غير أن علماء الفيلولوجيا اليوم قد اختاروا مقاربة معاكسة لدراسة المخطوط بمعنى أن التاريخ الثقافي يصبح عند الاقتضاء إحدى الوسائل للبحث في تاريخ المخطوط، وينصب الاهتمام حول الأرصدة الضخمة من المخطوطات المحفوظة في مختلف الخزانات. فما هو عدد المخطوطات التي نُسخت في فترة معينة من فترات التاريخ؟ بأي ثمن؟ وبأي وسائل؟ مثل هذه الأسئلة وغيرها هي التي يحاول الكوديكولوجي الأوروبي اليوم الإجابة عنها وذلك بوضع المخطوط في محيطه المادي والتاريخي.

إن المحاولات الأولى في هذا المجال من الغرب كانت محاولات فردية يقوم بها جامعيون مختصون في المخطوطات القديمة ثم أصبحت فيما بعد عبارة عن عمل جماعي في إطار مؤسسة أو معهد للبحث تشرف عليه الدولة. وهذه هي السبل التي سلكها البحث العلمي في العصر الحديث. وأول معهد أنشيء في أوروبا لهذا الغرض هو معهد البحث وتاريخ النصوص في فرنسا

(1) لفظ مخطوط حديث في العربية، يبدو أنه ظهر مع ظهور الكتاب المطبوع ـ أما قبل ذلك فكان القدماء يقولون تأليف أو مؤلفات، كتب الأصول، الكتب الأمهات، أو الكتب الأساسية لأنها كانت تحوي أساسيات العلم. أما في الفرنسية فإنّ مفرد مخطوط (manuscrit) لم يستعمل إلا في عام 1594 لأول مرة بمعنى مخطوط في مقابل مطبوع. والكلمة حديثة كذلك حتى في اللغتين اليونانية واللاتينية. وعندما نجد لفظ كيروغرافوم (Chirographum) في اليونانية في القرن الثاني قبل الميلاد ومنوسكربتم (Manuscriptum) في اللاتينية في القرن الثالث بعد الميلاد فإنها لا تعني كتابةً باليد بالمفهوم الحديث بل كانت تعني الطابع الأصيل للمخطوط أو النسخة الأصلية التي نسخها المؤلف بيده والتي يطلق عليها اليوم النسخة الأصلية (L'original) أو الأوتوغراف (L'autographe)

التابع للمركز الوطني للبحث العلمي (CNRS) في عام 1937م[1].

أما المخطوط الشرقي[2] والعربي منه على الخصوص فإنه لم يحظ بما حظي به أخوه في الغرب من عناية واهتمام الباحثين قديماً وحديثاً. فإشارات القدماء إلى موضوع المخطوطات في مصادر التراث نادرة جداً. وأما دراسات المحدثين من الغربيين والمشارقة للمخطوط العربي على الرغم من وجود الوعي والشعور بهذا المشكل فإنها لا تسد الفراغ الذي تركه القدماء في هذا المجال ولم تجب عن التساؤلات التي يطرحها مشكل المخطوط العربي في الوقت الراهن. فباستثناء الأبحاث الدورية عن المخطوط العربي وهي في معظمها أبحاث غير كوديكولوجية فإن معظم الدراسات الحديثة في هذا الميدان لم تهتم بالمخطوط العربي وفق القواعد الحديثة لعلم المخطوطات. إن موريتز (Moritz) في كتابه **الخطاطة العربية** 1905 (Arabic Paleography) قد اكتفى بعرض لوحات مختارة من بعض المخطوطات والمصاحف ترجع إلى عصور مختلفة دون إخضاع هذه النماذج لدراسة مخطوطية من جهة وباليوغرافية من

(1) هدف هذا المعهد هو البحث في النصوص القديمة والوسيطة وتناقلها. وهو يتكون من شعب مختلفة وهي الشعبة الاغريقية، والشعبة اللاتينية، والشعبة العبرية، والشعبة العربية. وهناك قسم يدعى قسم الكوديكولوجيا الذي توافيه الشعب الأخرى بالنتائج التي تتوصل إليها من دراسات باليوغرافية وكوديكوغرافية كدراسة المكتبات القديمة، والبحث في المتملكين وغير ذلك. ويحتوي هذا المعهد على مخبر لدراسة المخطوط يستعير تقنيات علم الفيزياء والكيمياء لدراسة المخطوطات والمحافظة عليها كالتحليل الكيميائي للمداد والأوعية، والهولوغرافيا للمقارنة بين الخطوط، والبتارديوغرافيا لمعرفة علامات الكاغد (الفيليغران). وينشر مجلة **تاريخ النصوص**، الدورية الدولية الوحيدة المتخصصة في تاريخ النصوص. وهذا المعهد هو المقر للمجلس الدولي للباليوغرافيا الذي أنشىء في 1953. ويهتم بالكوديكولوجيا كذلك جماعة من قسم الدراسات الإنسانية الفرنسية من قسمي 14 و15 التابع للمركز الوطني للبحث العلمي كذلك. La Section de l'Humanisme français des XIV et XVe Siecle (C.N.R.S).

(2) باستثناء المخطوط العبْري لأن شعبة اللغة العبرية في معهد تاريخ النصوص بباريس تعد من أنشط شعب هذا المعهد.

جهة أخرى، تكشف عن تطور الخط العربي وتبيّن ملامحه. وأما الكتاب الاسلامي (The Islamic Book) فإن مؤلفيه توماس ارنولد وادولف كروهمان (A. Grohmann و T. Arnold) قد اقتصرا على فنون الكتاب الاسلامي من زخرفة ورسوم وتذهيب وتجليد من القرن السابع حتى القرن الثامن عشر الميلادي. أما الكتاب العربي (The Arabic Book) فإن جوهانيس بدرسون (Johannes Pedersen ت 1977م) قد تحدث فيه عن الكتاب العربي منذ النشأة إلى عصر الطباعة مروراً بالمكتبات الاسلامية وتاريخ الوراقة والورّاقين والخط العربي وأنواعه وفنونه والخطاطين أمثال ابن مقلة وابن البواب والمستعصمي وغيرهم معتمداً في ذلك على مصادر التراث العربي خصوصاً معجم الأدباء لياقوت الحموي وصبح الأعشى للقلقشندي[1].

وقد خصّ صلاح الدين المنجد المخطوط العربي بدراسة نشرها عام 1960 بعنوان: الكتاب العربي المخطوط إلى القرن العاشر الهجري - وهو عبارة عن نماذج مصورة اختارها من بعض المخطوطات دون إخضاعها لأية دراسة مخطوطية. أما كتاب «المخطوط العربي من النشأة إلى القرن الرابع الهجري» 1978 لعبد الستار الحلوجي فإنه يحدثنا عن ظهور المخطوط العربي وصناعته في العصور الاسلامية الأولى، ولم يستطع المؤلف أن يصدر أحكاماً نهائية عن المخطوط العربي نظراً لقلة ما بقي من مخطوطات ترجع إلى هذه الفترة[2]. إن هذه الأعمال العلمية على أهميتها فإنها لم تدرس المخطوط العربي دراسة مخطوطية ويبقى هذا الموضوع حقلاً بكراً يحتاج إلى الدراسة والبحث باستثناء بعض المحاولات فردية كانت أو جماعية يقوم بها بعض

---

(1) نشر الكتاب أولاً باللغة الدانماركية عام 1946م ولم يظهر باللغة الانجليزية إلا في عام 1984 بترجمة جوفري فرينش (Geoffrey French) ولم يصل إلى العالم العربي بهذه اللغة قبل عام 1985. وعرّبه عن الانجليزية السيد حيدر غيبه في عام 1989. وطبع بدمشق بمطبعة الأهالي.

(2) وضع العالم العراقي كوركيس عوّاد كتاباً بعنوان: «أقدم المخطوطات العربية في مكتبات العالم حتى 500 هـ» أحصى فيه 717 مخطوطاً. وقد أغفل المؤلف بعض المخطوطات التي ترجع إلى هذه الفترة مثل مخطوط أبي عبيد القاسم بن سلام الذي نسخ عام 252هـ على الورق والمحفوظ بخزانة جامعة ليدن بهولندة.

المستشرقين في بعض البلاد الأوروبية[1]. لِنَرَ الآن بعض العناصر الأساسية التي يشتغل بها علماء الكوديكولوجية في إطار دراسة المخطوط الأوروبي مع الإشارة إلى أي حد أمكن تطبيقها على المخطوط العربي.

1 ـ الكشافات أو قوائم المخطوطات

وضع قوائم المخطوطات هي مهمة عالم المخطوطات الأولى والأساسية ولا يستغنى عنها إلا بعد أن توضع فهارس علمية مبنية على قواعد ثابتة. وقد خطا الغربيون خطوات كبيرة في هذا الميدان خصوصاً فيما يتعلق بالمخطوطات الاغريقية واللاتينية. إنهم فهرسوا الخزانات ووضعوا الفهارس الموحدة (Catalogues Collectifs) وقاموا بإحصاء مخطوطات اللغات الأوروبية القديمة[2]؛ وبدأوا في تحقيق مشروع وضع فهرست دولي موحد يضم جميع مخطوطات الغرب[3]. كما وضعوا فهارس المخطوطات الاغريقية حسب الفنون كفهارس المخطوطات الطبية والفلاحية وكتب الصنعة. ويهتمون الآن بوضع فهارس للمخطوطات الفريدة والنادرة وأخرى للمخطوطات القديمة أو الأصلية وأخرى بالمخطوطات المزخرفة إلى غير ذلك من الفهارس العلمية، فإين مخطوطاتنا العربية من مثل هذه الفهارس؟ حتى الآن ليس هنا من كشاف شامل لمخطوطاتنا العربية، والتراث المخطوط الذي تقدمه لنا الكشافات والأدلة الببليوغرافية والفهارس لا يعدو نصف ما هو مصون في مختلف

(1) من المحاولات الفردية تلك التي يقوم بها المستشرقون الهولنديون مثال ويتكام، وجيكرز، وكوننكسفلد (Koningsfild). أما المحاولات الجماعية فهي التي تقوم بها جماعة القسم العربي بمعهد البحث وتاريخ النصوص غير أن هذه المحاولات لا تزال في البداية وإن كان بعض أفرادها مثل المستشرقة امبير جونفييف (Imbert Geneviève) يهتم بتاريخ النصوص.

(2) يبدو أن عدد المخطوطات الاغريقية المحفوظة في مختلف خزانات الغرب لا يتجاوز خمسة وخمسين ألف مخطوط (55000). وعدد اللاتينية منها ثلاثمائة ألف (300,000) مخطوط.

(3) هو مشروع العالم الأميركي ريشاردتسون (Richardson) الذي وضع «**الفهرس الدولي الموحد للمخطوطات**» (A Union World Catalogue of Manuscrit Books) غير أن هذا المشروع قد توقف، ولم يعد من السهل في الوقت الراهن وضع فهرس بهذا الحجم.

الخزانات العالمية. وحتى الفهارس العلمية القليلة التي وضعت لهذا التراث فهي مختلفة متباينة في طرقها ومناهجها، تختلف من بلد إلى بلد بل من مكتبة إلى مكتبة داخل البلد الواحد. وإذا كانت الفهرسة هي العنصر الوحيد من عناصر علم المخطوطات الذي يمارس في العالم العربي فإن المشتغلين بها يختلفون في الطرق المستعملة علاوة على عدم التخصص الذي يتصف به أغلبيتهم. وما ظهر من فهارس متخصصة في بعض البلاد العربية فهو قليل جداً بالنسبة لهذا التراث الغني.

2 ـ فهرس الفهارس

خطا الأوروبيون في هذا المجال كذلك خطوات كبيرة حيث وضعوا قوائم للفهارس الموضوعة لمساعدة الباحثين والفيلولوجيين على الخصوص. وعلى الرغم من وجود محاولات فيما يخص المخطوط العربي بدءًا ببروكلمان في تاريخ الأدب العربي وانتهاء بكوركيس عوّاد بفهارس المخطوطات العربية في العالم فإن الموضوع لا يزال بحاجة إلى تضافر الجهود وفهرسة ما لم يفهرس من مخطوطات وضمّ هذه الفهارس في فهرس موحّد يفي بالمطلوب[1].

(1) يعتبر تاريخ الأدب العربي لبروكلمان أول كتاب لفهارس المخطوطات العربية في العالم. وتلاه فيما بعد كتاب المستشرق فايدا (Vajda) بعنوان: دليل الكاتالوكات ولوائح المخطوطات العربية 1949 .(Repertoire des Catalogues et inventaires des manuscrits arabes). وفي سنة 1967 نشر ويسمان (A. J.W. Huisman) كتاب المخطوطات العربية في العالم (Les manuscrits arabes dans le monde) Leiden, 1967). قد اعتمد فيه بالدرجة الأولى على كتاب المستشرق «فاجدا»؛ كما استفاد من معارف وتجارب العالم الانجليزي بيرسون (M.J.D. Pearson) صاحب **الكشاف الاسلامي** (Index Islamicus). وتلا هؤلاء فؤاد سيزكين Fuat Sezgin بكتابه الذي لم يتمه منه بعد وعنوانه: **تاريخ التراث العربي** (12 مجلداً حتى الآن). وآخر محاولة في هذا المجال تلك التي وضعها كوركيس عواد وذلك بكتابه الذي نشره في الكويت عام 1984 بإيعاز من معهد المخطوطات العربية وأكاديمية الأردن وعنوانه: فهارس المخطوطات العربية في العالم.

3 ـ وصفات المخطوطات (Notices Des manuscrits)

تعني وصفات المخطوطات الوصف الذي يخصّص لمخطوط معيّن في دورية أو كتاب كأن يصف الناشر المخطوطة التي حققها. وتختلف هذه الوصفات باختلاف الواصفين، منهم من يقصرها ومنهم من يطيلها. ففي حالة القصر يقع إخلال بعملية الوصف، وفي حالة الإطالة تعتبر العملية لدى علماء الفيلولوجيا البداية الأولى لعملية التحقيق العلمي. ومهمة الكوديكولوجي أن يضع ببليوغرافيا موثقة لهذه الوصفات. فإذا وجد مثل هذا العمل في أوروبا بالنسبة للمخطوط الغربي فإننا لا نجد مثله فيما يخص المخطوط العربي[1].

4 ـ فهارس المخطوطات المؤرخة

إن التأريخ الدقيق أو التقريبي للمخطوطات يفيد الكوديكولوجيين وعلماء الفيلولوجيا خاصة من ناحيتين. أولهما: يُمكن من إعطاء قواعد متينة لتاريخ النصوص، ثانيهما: يساعد على تقدم الدراسات الباليوغرافية المحضة. ولا يخفى على أحد أهمية فهارس المخطوطات المؤرخة في جميع اللغات. ولا ينبغي أن تؤخذ تواريخ نسخ المخطوطات إن وُجدت كما هي، فما أكثر هفوات النساخ في هذا المجال. وعلى العالم بالمخطوطات أو الكوديكولوجي أن يتحلى بالتحرّي ويبحث في التاريخ الموضوع بحثاً علمياً، كثيراً ما اتضح بعد البحث الكوديكولوجي أن الناسخ ينقل تاريخ نسخ المخطوطة التي نقل منها أو نسخها أو حرّف تاريخ نسخها قصداً أو بدون قصد. ويأتي بعد وضع فهرس المخطوطات المؤرخة وضع فهارس المخطوطات المؤرخة بالتقريب اعتماداً على علمية وتجربة وحدس المفهرس أو اعتماداً على وقفية أو حدث تاريخي

(1) بالنسبة للتراث الغربي هناك مجلة سكربتوريوم (Scriptorium) التي ظهر أول عدد منها عام 46 ـ 1947 وهي دورية دولية للدراسات المتعلقة بالمخطوطات، وتعتبر نوعاً من البيليوغرافيات الجارية بحيث تنشر كشافاً سنوياً تشير فيه إلى الدراسات الجديدة والببليوغرافيات المتعلقة بالمخطوطات. بالنسبة للتراث العربي فإن كتاب صلاح الدين المنجد: **معجم المخطوطات المطبوعة** لا يعالج إلا جانباً واحداً من جوانب هذا العنصر من عناصر علم المخطوطات.

أو تملّك أو على مقارنة الخطوط أو ما شابه ذلك من العناصر التي يطلق عليها خوارج الكتاب. علامة الكاغد مثلها[1] (Filigraues) تمكن بعض الأحيان من تأريخ المخطوط إذا كان الكاغد أوروبياً لأن الكاغد ذا الأصل العربي يخلو من هذه العلامة، وقد وضع الأوروبيون هذا النوع من الفهارس مثل فهرس المخطوطات اللاتينية المؤرخة الذي وضعه العالمان الفرنسيان شارل سمران وروبير مارشال عام 1959م[2].

5 ـ فهارس النساخ

باستثناء المخطوطات الاغريقية[3] فإن مخطوطات اللغات الأخرى تفتقر إلى هذا النوع من الفهارس التي تؤدي خدمة جليلة للمهتمين بالتوثيق والتحقيق العلمي. فاعتباراً للدور الكبير والأساسي الذي لعبه النساخ والنساخة في التراث العربي المخطوط يجب القيام بأبحاث علمية ودراسات أكاديمية في مجال النساخة بعد وضع فهارس النساخ كما يجب وضع مونوغرافيات للنساخ المشهورين مثل ابن مقلة وابن البواب والمستعصمي وسواهم من مئات النساخ

(1) أنظر كتاب بريكت (Briquet): **العلامات** Les Filigranes في أربعة مجلدات.

(2) ليس هناك أعمال من هذا القبيل في مجال المخطوط العربي. كل ما هنالك أن المشاركين في ختام ندوة مخطوطات الشرق الأوسط التي انعقدت في شهر مايو 1986 قد أبدوا اهتمامهم بإنشاء نشرة اخبارية تسمح بتعريفهم بكلّ ما جدّ في مجال دراسة مخطوطات الشرق الأوسط. ويعمل الآن كلّ من الشعبة الرابعة للمدرسة التطبيقية للدراسات العليا (باريس) ومؤسسة ماكس فان برشم (جنيف) (Max Van Berchem) على تحقيق هذا المشروع. وهذه النشرة ستكون وسيلة وبداية لأعمال باليوغرافية وكوديكولوجية أخرى تتعلق بالمخطوطات الشرقية وخاصة منها المخطوطات العربية كأن تدعو إلى وضع فهارس المخطوطات العربية المؤرخة وفهارس النساخ. وقد أُنشىء لتحقيق هذا المشروع والإسراع به بنك المعلومات [البطاقات] أطلق عليه فيمود (FIMMOD) يهتم بجميع أصناف المخطوطات العربية المؤرخة قبل 1500م. سواء تعلق الأمر بالمخطوطات المنسوخة بعناية أو المسودات.

(3) وضع فوجل Vogel فهرساً للمخطوطات اليونانية المؤرخة عام 1909. ومعلوم أن عدد المخطوطات الاغريقية المعروفة التي تم إحصاءها في مكتبات العالم لا يتجاوز خمسة وخمسين ألف مخطوط (55000).

المهرة الذين عرفتهم جميع البلدان الإسلامية في مختلف العصور والأزمان.

6 ـ فهارس نسخ المخطوطات

إذا وضع هذا النوع من الفهارس لمخطوطات الغرب، فإن مخطوطاتنا العربية تظل تفتقر إلى مثل هذه الأدلة الببليوغرافية. أما كتابا بروكلمان وسيزكين تاريخ الأدب العربي وتاريخ التراث العربي اللذان تناولا هذا الموضوع فإنهما لم يُلمّا إلا بـ جزء قليل من التراث العربي المخطوط[1].

7 ـ فهرس المجمّعين ومجموعات الكتب

إن من بين مهام الكوديكولوجيا الأساسية إلقاء الضوء على تاريخ المجموعات الخطية. ما هي الأيدي التي تناولت وتصفحت المخطوط؟ من تملّكه من الناس؟ ما هي المكتبات أو المجموعات التي كان ينتمي إليها هذا المخطوط؟ هذا النوع من الأسئلة والتساؤلات التي تطرح للكوديكولوجي والفيلولوجي فيحاول الإجابة عنها بعد دراسة هذا المخطوط دراسة مخطوطية كوديكولوجية. إن مثل هذا البحث من شأنه أن يساعد المختصين في المخطوطات على معرفة الأسباب التي دعت إلى ضياع هذا المخطوط أو ذاك.

أما العناصر التي ينبغي أن تضمها وصفة الفهرس: 1) تاريخ المجمّع أي صاحب المكتبة أو تاريخ تكوين المجموعة. 2) الإشارة إلى المجموعات المختلفة للمجموعات الكبرى وأعني بها الكتب التي أغنت هذه المجموعات. 3) مصادر المخطوطات أو المجموعات. 4) تشتت المخطوطات وضياعها بالنسبة للمجموعات القديمة. 5) ذكر الفهارس القديمة مع مراجعتها[2]. ويهدف الكوديكولوجي كذلك إلى البحث عن المكتبات المفقودة أو المشتتة والإشارة إليها بحيث يمكن إعادة بنائها إذا ما وجدت الوصفات والقوائم الفهرسية.

وقد سبق لي أن أشرت في أحد هوامش هذا البحث إلى أن أحد الباحثين قد

---

(1) مثل **تاريخ الأدب العربي** لبروكلمان لا يزيد على عشرين ألف مخطوط عربي.

(2) أنظر **المخطوطات** (Manuscrits) لألفونس دان. ص90، ط3، 1975.

جعل دراسة المصطلحات المتعلقة بدراسة المخطوطات فرعاً من فروع علم المخطوطات. أعتقد أن هذه المهمة هي منوطة بالفيلولوجي أكثر مما هي منوطة بالكوديكولوجي الذي درسنا أهم مهماته فيما سبق من هذا البحث. ودراسة مصطلحات المخطوطات موضوع أساسي لم يهتم به حتى الآن كما لم يُهتم ولم يُفكّر في وضع معجم للمصطلحات المكتبية[1].

وأخيراً وعلى الرغم من التباين الحاصل بين الكوديكولوجيين والفيلولوجيين حول الغاية من دراسة علم المخطوطات فإن الكوديكولوجيا تؤدي خدمة جليلة ليس فقط لعلماء الفيلولوجيا، ولكن للمؤرخين والببليوغرافيين ولمختلف الباحثين في مجالات أخرى كتاريخ المجتمع الاجتماعي والاقتصادي وغيره. يقول المستشرق كونينكسفيلد (Koningsfild) إن الحصول على معلومات تتعلق بمخطوطات جهة معينة والمنسوخة في مكان معين تفيد الدارس للكيان المادي للمخطوطات وبخاصة الببليوغرافي المهتم بتحديد الجوانب المادية للمخطوطة إضافة إلى المؤرخ المهتم بتحديد أصل المخطوطة المكاني التي تقع في حدود دراسته، وذلك لأن المخطوطات ليست نصوصاً مصدرية فحسب، ولكنها شاهد أيضاً على النشاط الثقافي لهذا القطر أو ذاك أو هذا البلد أو ذاك في فترة معينة من التاريخ. إن كل مخطوطة إنما هي مرآة تعكس الحياة الثقافية للزمان والمكان الذي نسخت فيه المخطوطة وتداولتها الأيدي[2].

---

(1) أول محاولة قام بها المشارقة في إطار المصطلحات المكتبية هي ترجمة كتاب (انتوني تومسون) Anthony Thomson: المصطلحات المكتبية عام 1965. ويضم المصطلحات باللغات الانجليزية والفرنسية والألمانية والاسبانية والروسية. وهناك محاولة سابقة عليها قام بها أسعد داغر وآخرون ونشرتها مجلة عالم المكتبات عام 1961. أما بالنسبة لمصطلحات المخطوطات فيبقى حقلاً بكراً في الثقافة العربية. أما بالنسبة للتراث الغربي فإن العالم الفرنسي موزريل (Denis Muzerelle) وهو موثق وباليوغرافي قد وضع كتاباً بعنوان: **مصطلحات عالم المخطوطات** Vocabulaire Codicologique. وهو دليل منهجي للألفاظ الفرنسية المتعلقة بالمخطوطات. نشره معهد البحث وتاريخ النصوص عام 1985 بباريس.

(2) **المخطوطات العربية في الغرب الإسلامي**: نشر: مؤسسة الملك عبد العزيز، الدار البيضاء، 1990، ص319.